

# الدعوة للطاعة

الله هو المدافع عن نفسه

من هو المدافع؟ المدافع هو من يدافع عن الإيمان. في هذه المناقشة نقدم قصيدة إليزابيث باريت براوننج:

الأرض مكتظة بالسماء،

وكل شجيرة عادية تشتعل بالله،

ولكن من يراها هو فقط من يخلع حذاءه

يجلس الباقون في دائرة يقطفون العليق

من وجهة نظر السيدة براوننج، الأمر بهذه البساطة، فإننا إما أن نرى الله ونخلع أحذيتنا أو نقطف من العليق. بمعنى آخر إن كانت الأرض مكتظة بالسماء، فلماذا نحتاج إلى مدافعين؟ هل جعل الله نفسه غامضاً لدرجة أن يحتاج إلى مساعدتنا لإثبات وجوده؟ إذا تشككنا في وجود الله، فكم بالحري يكون لدينا سبب للتشكيك في وجودنا؟ فمنذ القديم، بدأ علم "الدفاعيات" في الازدهار لمحاولة إثبات ما لا يحتاج إلى دليل إضافي. (١ هناك إله؛ ٢) هذا الإله يحتاج إلى حمايتنا؛ (٣) ينبغي أن تكون المسيحية مقبولة فكرياً لدى العالم.

لكن قبل أن ندخل في مسألة الدفاعيات العظيمة، فلنبحث أولاً عن آثار رأي الله في هذه المسألة في تاريخ بني إسرائيل. تذكر أن عزة قُتل على الفور عندما وضع يده على تابوت العهد عندما تعثرت الثيران (صموئيل الثاني ٦: ٤-٧؛ عدد ٤: ١٥؛ خروج ٢٥: ١٠-١٤). لا يحتاج الله إلى دعم الإنسان له. لاحقاً، عندما نسي بطرس التاريخ، استل سيفه للدفاع عن الرب يسوع ضد حراس الهيكل الذين جاءوا للقبض عليه. ومع أن بطرس لم يُقتل، إلا أنه شعر بإحراج شديد عندما رأى أن سيده استطاع أن يلقي الجميع على ظهورهم بدون إراقة دماء بمجرد النطق ببضع كلمات (يوحنا

١٨:٤-١١). الله ليس معرضًا للخطر. وإن كنت تظن أن عليك أن تقاتل من أجله، فليكن ذلك بسيف الروح وليس بسيف الجسد. لكن تذكر دائمًا أن الله لا يمانع في أن يبدو خاسرًا مرات كثيرة، وكذلك نحن. لا يحتاج المسيحي إلى النظر في مرآة العالم كل صباح ليجدد مواد التجميل الخاصة به، ليتأكد أنه لا يزال يترك انطباعًا جيدًا. بل بالحري، فإنه من خلال أنه "كشاة تُساق إلى الذبح" (إشعياء ٥٣:٧)، سيربح معاركه بطريقة معجزية.

نعم، حقًا "الأرض مكتظة بالسماء" تعني أنه إن وضع الله المزيد من السماء على الأرض قد تنفجر الأرض. لأن الأرض مليئة بالسماء، تشهد الأرض للسماء في كل مكان وفي كل وقت. "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْأَفْلاَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمَ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلَامًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَفْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا" (مزمور ١٩:١-٤).

الأرض مكتظة بالسماء. إننا عميان عن الواقع. فنحن نعيش في مكان صغير منها. دعني أعطيك لمحة عن ذلك. هل تعلم أنك الآن رائد فضاء تندفع حول الشمس بسرعة ٦٥٠٠٠ ميل في الساعة وحول محور الأرض بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة؟ هل تعلم أن الأشخاص الذين يعيشون بالقرب من خط الاستواء يمتدون إلى الفضاء، جانبًا عن هذا الكوكب، تثبتهم أقدامهم فقط على الأرض، وأن الناس في جنوب إفريقيا يقفون رأسًا على عقب مقارنة بمن يعيشون في أيسلندا؟ هل تعلم أن لديك حوالي ٣٠ تريليون خلية (أي "٣٠" متبوعة باثني عشر صفرًا)، تتنفس وتتغذى وتهضم وتنتج وتفرز وتحميك من الأمراض كل ذلك من أجل رفاهيتك؟ علاوة على ذلك، يوجد داخل كل خلية من هذه الخلايا ١٠٠ تريليون ذرة لا تنفذ طاقتها أبدًا لأن الله، "السبب الأول"، لا تنفذ منه الطاقة أبدًا. ألا يمكنك أن ترى أن هذا يتطلب عقلًا مدبرًا كبيرًا للحفاظ على كل هذا بالترتيب في جميع أنحاء كونه اللامتناهي؟

لا ينبغي أن يكون السؤال: "أين هو الله وماذا يعمل؟"، ولكن "أين لا يوجد الله وماذا تفعل أنت؟". لذلك، كما ينبغي أن يمكنك أن ترى، هذا هو ما يدور حوله العلم

(عمل القوانين المتناغم والموثوق به). ليس لدى الإنسان المسيحي مشكلة مع العلم. لقد خلقها الله. في الأساس، العلم هو هوية الله للبشرية. إنه أول إعلان من الله عن نفسه، مكتوب بلا خطأ، تتردد موسيقاه وهي تنتشر بلا جهد عبر العصور. نعم، وبالمناسبة، من أين أتت الموسيقى أيضاً؟ بالتعمق في ذلك، كل ما تراه من خلال المجهر والتلسكوب يقول: "نعم وآمين"، وأي شخص يعطل موسيقاه سيتم طرده قريباً من قاعة الحفلات الموسيقية من أمام حضور الله إلى الأبد. لا تدع هذا يحدث لك.

لكن، فلنذهب إلى ما هو أبعد من العلم، إلى أبعد مما تدركه حواسنا الخمس بشكل طبيعي، لنرى ما هو أيضاً تحت تصرفنا لنعرف ليس فقط أن هناك إلهًا للكون، ولكن لنعرف أيضاً أن هناك إلهًا شخصيًا. لا أحد يُولد ملحدًا. عند خلق الله للإنسان من التراب بيديه ونفخ فيه نفسًا حية، لم يضع فيه أدنى أثر للإلحاد. "وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا". لقد وضع فينا ما هو منه. وبالتالي، لا يوجد شيء اسمه ملحد بالمولد. هذا ما جعل بولس يقول عندما كان يمر عبر المركز الفكري للعالم اليوناني القديم أريوس باغوس: "لِكَيْ يَطْلُبُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُونَهُ، مَعَ أَنَّهُ عَن كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا" (أعمال الرسل ١٧: ٢٧). يشناق الإنسان لخالقه. ويصفنا بولس أيضًا أننا نمتلك هذه المعرفة الفطرية الفائقة للطبيعة عن الله الحي (رومية ١: ١٨-٢٣)، ولا يتردد في تسمية من يكتمون ذلك بالحمقى. بالإضافة إلى ذلك، لاحظ الاقتباس الثاني لبولس في أريوس باغوس: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال الرسل ١٧: ٢٨). هذا يعني أن الإنسان منغمس في الدليل على وجود الله.

فهل من العجيب أن يرفض الإنسان الدليل الخارجي وشهادة الروح القدس التي يعلنها المرسم: "قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلَهٌ" (مزمور ١٤: ١). لذلك، فإن مسألة وجود إله عام وإله شخصي ليست مشكلة فكر لكنها مشكلة قلب. إن الاعتراضات الفكرية ليست سوى ستائر من الدخان تغطي القلب المتمرد الفاسد الذي يقول: "لأ نريد أن هذا يملك علينا" (لوقا ١٩: ١٤).

لمدة أربع وأربعين سنة، حاول الشيوعيون تعليم الأوروبيين الشرقيين عدم وجود الله. إلا أنهم لم يتمكنوا من محو الدليل الجديد الذي فتح أمامهم السموات كل صباح مع ظهور مجد الشمس منتصراً في الشرق. يوجد الآن في موسكو، المقر السابق للإلحاد، حوالي ٢٠٠٠ كنيسة و ٢٠٠ أخرى قيد التخطيط ، مع ذلك لم يعد هناك جدل حول وجود الله ولكن حول إن كنا نسمح للناس بعبادته بالروح والحق. كل تجربة تمت للترويج للإلحاد فشلت. إنه متجذر في الظلام وليس له مستقبل حي. وليس له هدف نبيل ولا شيء يقدمه لكي يفرح قلب الإنسان. ليس فيه جمال ولا ترانيم في الليل ويغيب في وقت المعركة. ليس له مرساة أو بوصلة أخلاقية. لا يمكنه أن يضيء الشموع ولا يزودك بخبرة مغفرة الخطايا. ليس فيه مكان للراحة. لا يمكن أن تشفي الجروح أو يعزي منكسري القلوب، كما لا يمكنه أن يدخل عالم المعجزات. مرة أخرى، لا ينتمي الإلحاد إلى الكون أكثر من انتماء السمكة إلى الأرض. إنه فارغ وسلبي ولا يضيف إلا الظلام حيث يرفع رأسه.

لذلك، فإن معرفة الله بشكل شخصي تعني أننا لا يلزمنا فقط إلا أن نُولد من الله لأن السمكة تُولد في الماء، لكن يجب أيضاً أن نُولد من الله كما قال الرب يسوع أننا يجب أن نكون "مولودين من الماء والروح" (يوحنا ٣: ٥). يجب أن تصبح قلوبنا مهذاً متواضعاً يمكن أن يولد فيه ابن الله. إنه هنا تنبت وتزدهر كل النعم الفائقة للطبيعة عندما نصبح وكلاء لمعرفة القدوس. من هنا في غمضة عين، نأخذ قفزة محورية من الجهل إلى الفهم كما يقول الكتاب المقدس: "بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُنْقِذَتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (عبرانيين ١١: ٣).

شيء جميل. عندما نُؤمن، ندرك فجأة كل شيء من قصة الخلق إلى تحول عصا موسى إلى حية، وإلى أن ينزل الله خبزاً من السماء، وحتى ولادة الرب يسوع من عذراء. عند هذه النقطة، يصبح إلهاً أيضاً "أباً" لنا (أبانا). وللأسف، كثيراً ما تجد العقول المتكبرة الذكية صعوبة في الانحدار إلى هذا المستوى المنخفض لإحلال الإيمان الطفولي محل العقل، بما يجعل الرب يسوع يقول: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ" (متى ١١: ٢٥). هذا هو السبب الأساسي الذي جعل الرب يسوع لم يرسل تلاميذه إلى الحصون الفكرية ولكن إلى الطرقات والشوارع، قائلاً: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ

مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأَتَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ  
بِالإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصْرِ، وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا ٤: ١٨).

ولكي يجهزنا للقيام بذلك، أعطانا الروح القدس: "وَمَتَّى جَاءَ ذَلِكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى  
خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْئُونَةٍ" (يوحنا ١٦: ٨). عندما يسكن فينا ويعمل من خلالنا،  
نرى الأشرار يصبحون قديسين، والأمور المعوجة تصبح مستقيمة، وينال العميان  
بصرهم، ويصير الإنسان الأجوف مسكنًا لله الحي. وهكذا، فإن الصورة الأولى  
للمسيحيين الأوائل على الرغم من أنهم غير متعلمين، إلا أنهم أظهروا علامات  
رائعة ... أنهم كانوا "مَعَ يَسُوعَ" (أعمال الرسل ٤: ١٣). حقًا، إن هويتنا مع الرب  
يسوع، وليس ذكاء عقولنا، هي التي ستستمر في تغيير العالم، مثلما قال جوناثان  
إدواردز، أبو النهضة الكبرى في أمريكا: "لم تريح الفصاحة إنسانًا للمسيح على  
الإطلاق، لكن روح الله هو من يفعل ذلك. أو كما يقول زكريا: "لَا بِالْقُدْرَةِ وَلَا بِالْقُوَّةِ،  
بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (زكريا ٤: ٦). تذكر عزة؛ تذكر بطرس؛ تذكر المسيح.  
تدور الحياة حول ما هو أكثر من قطع ثمار العليق؛ إنها تدور حول الله، وحول الله  
وحده فقط .

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا [www.schultze.org](http://www.schultze.org)

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA